

﴿ البشارة بإسحاق: ﴾

سارة الزوجة المحببة إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، خرجت معه مؤمنة مهاجرة، وكانت رفيقة دربه في الهجرة إلى الشام، كما رافقته في رحلته إلى مصر، صانها الله تعالى كريمة عفيفة من جبار مصر لدينها وعبادتها وحبها لله تعالى، فعادت من مصر ومعها هدية من جبارها لما رآه من عففتها ورباطة جأشها، وأنها محروسة من قوة كبيرة خفية حالت بينه وبينها فلم يستطع مسها بأذى، وكانت رضي الله عنها عقيماً وهذا امتحان لها من الله ووضعها أمام اختبار صعب خصوصاً وأن جاريتها هاجر التي أهدتها إلى زوجها إبراهيم قد ولدت إسماعيل، فحرك هذا شجونها ونمى فيها شهوة الولد، وكل أنثى مفطورة على أن تكون أمّاً، لذلك لا عيب فيمن تشتهى الولد وتطلبه من ربها صابرة محتسبة، وتتخذ الأسباب بالدعاء والالتجاء إلى الله الذي يملك أن يهبها الولد، وأن تسعى أيضاً إلى اتخاذ العلاج الذي شرعه الله سبباً في الإنجاب، فلا ضير في هذا ولا حرج لأنها رغبة فطرية في المرأة، ولا يأس مع الحياة، وبعد أربع عشرة سنة من مولد إسماعيل، وبلوغ سارة سن اليأس، وربما نسيان الولد والالتفات إلى مزيد من العبادة لختام حياة يعمرها الإيمان ويرضى عنها ربها الرحمن، لكن كانت المفاجأة ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَآَ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَانِ قَائِمَةٌ فَضَحِكَا فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءَ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾، وهكذا جاءت البشرية لسارة

بأنها ستنجب إسحاق وسيكون لإسحاق ولد اسمه يعقوب، هكذا أخبرت الملائكة إبراهيم عن أمر ربهم حين زاروه وهم أضياف على صورة بشر، وكانوا في طريقهم إلى لوط، لكن لِمَ الاستعجال في البشارة بـيعقوب؟ وسارة يكفيها إسحاق وهي التي انتظرت هذه الساعة سنين طويلة، وأظنها لا تتطلع لأبعد من ذلك، لكن هناك سر في البشارة بـيعقوب، وفيها تقديم الطمأنينة لإبراهيم عليه السلام باستمرار الذرية، وأن المواليد الذين يولدون على شكل إعجاز رباني وعلى غير ما أودعه الله من قوانين في هذا الكون سينتهي الإعجاز عندهم، بمعنى أنهم لا ينجبون، لكن هذه المعجزة ستخطئ القوانين أيضاً فطمأن الله بأن إسحاق سينجب، وسيرزق بالولد، وهذا إعجاز في إعجاز، حيث إن سارة قد ولدته وفق إعجاز خارق للعادة، فمثيلاتها لا ينجبون وفق قانون الله في الأرض، لذلك عجبت من هذه البشارة ﴿قَالَتْ يَوْنَلَيَّ مَالِدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود]، فالرجل لا يقف إنجاباً عند سن معينة حتى ولو كان شيخاً، أما المرأة فنعم، إذا انقطع الحيض وكانت من قبل تنجب توقف الإنجاب، لذلك تزوج إبراهيم بعد سارة وبعد هاجر بامرأتين «قنطورا» وأنجبت: مدن - مدين - يقسان - سوح - زمران - أسبق - و «حجور» وأنجبت: كيسان - شورش - أميم - لوطان - نافس.

وعوداً إلى إسحاق فقد كانت البشارة مزدوجة، بشارة بإسحاق وأن إسحاق سينجب يعقوب، وعلى هامش القصة فإن الاستنساخ للنعجة دوللي كما ورد عن الذين مارسوه في هذا العصر تم - كما زعموا - من تلقيح خلايا أنثوية لم تستعمل فيها البويضة ولا الحيوان المنوي وهو إنجاب على غير القوانين المتبعة التي أظهرها الله لنا في الأرض، وهذا الإنجاب - باعتقادي - سينقرض ولن يكون له نسل كما حصل للذين مسخهم الله من بني إسرائيل قردة وخنازير عبرة لما أحدثوه من مخالفات وكفر عظيم ثم انقرضوا.

لقد نالت سارة الصابرة ما تمنّت وآبت بالرحمة والرضوان من الله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ

حَمِيدٌ مُجِيدٌ ﴿٧٣﴾ [هود] وفي سورة الذاريات أظهرت وقع الخبر على سارة وقد جللها الخجل والدهشة بأن تنجب وهي في سن متقدمة ﴿هَلْ أُنثِيَ ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَرَأَى إِلَهُهٖ فَجَاءَهُ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٧٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحَفُّ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَليمٍ ﴿٧٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرْفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٧٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٠﴾ [الذاريات] كانت سارة تقف خلف ستر وهي تساعد إبراهيم في خدمة ضيوفه ظناً من إبراهيم وسارة أنهم ضيوف من البشر لأنهم أتوا في هيئة البشر، ولما قدم لهم الطعام وهو عجل سمين مشوي اعتذروا عن الأكل وأخبروه بحقيقتهم ثم بشروه بغلام عليم من سارة، فسمعت سارة ما قالوه وضربت وجهها خجلاً وقالت عجوز عقيم، أي أتلد وهي عجوز وعقيم، فذكروها بأن هذا أمر الله وهو الحكيم العليم، وهي تعلم قدرة الله تعالى فلا شيء يعجزه والأمر كله بيده، فعادت جنسياً مثل الشواب فحاضت ومن ثم حملت، فكانت ولادة إسحاق.

